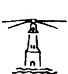
كامل كيلاني

قصص من ألف ليلة

عبد الله البري وعبد الله البحري

الطبعة الخامسة عشرة



دار المعارف

الناشر : دار المعارف - ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة ج. م. ع.

١ – عَبْدُ ٱللهِ ٱلصَّيَّادُ

كانَ « عبْدُ ٱللهِ ٱلصَّيَّادُ » رَجُلاً فَقِيرًا جِدًّا . وَكانَ لَهُ عَشَرَةُ أَوْلادٍ يَسْعَى – كُلَّ يَوْمٍ – لِلْحُصُولِ عَلَى قُوتِهِمْ . وَلَمْ يَكُنْ يَمْلِكُ غَيْرَ شَبَكَتِهِ ٱلَّتِي يَصْطادُ بِها ٱلسَّمَكَ مِنَ ٱلْبَحْرِ وَيَبِيعُهُ ثُمَّ يَشْتَرِى – بِثَمَنِهِ – ما يَقْتاتُ بِهِ هُوَ وَأَوْلادُهُ ٱلْعَشَرَةُ وَزَوْجُهُ ٱلْفَقِيرَةُ .

وَما زالَ كَذٰلِكَ حَتَّى ماتَتْ زَوْجُهُ ؛ فَحَزِنَ لِمَوْتِها أَشَدَّ ٱلْحُزْنِ . وَلٰكِنَّهُ عَلِمَ أَنَّ ٱلْحُزْنَ لا يَنْفَعُ ، فَأَسْلَمَ أَمْرَهُ لِلهِ ، وَصَبَرَ عَلَى قَضائِهِ ، وَرَضِىَ بِما قَسَمَهُ لَهُ .

* * *

وَذَهَبَ – فِي ٱلْيَوْمِ ٱلثَّانِي – مُبَكِّرًا إِلَى ٱلْبَحْرِ ، بَعْدَ أَنْ أَوْصَى ٱبْنَتَهُ « أَمِينَةَ » بِإِخْوَتِها . وَكانَتْ « أَمِينَةُ » بِنْتًا مُؤَدَّبَةً ذَكِيَّةً ، فَعُنِيَتْ بِإِخْوَتِها خَيْرَ عِنايَةٍ .

وَقَدْ أَصْبَحَتْ لَهُمْ - بَعْدَ مَوْتِ أُمِّها - والِدَةً ثانِيَةً ، تَغْمُرُهُمْ بِعَطْفِها وَحَنانِها ، وَتُؤَنِّسُهُمْ ، وَتَسْهَرُ عَلَى خِدْمَتِهِمْ ، وَتَقُومُ بِكُلِّ ما يَحْتاجُونَ إِلَيْهِ .

٢ - عَلَى شاطِئِ ٱلْبَحْرِ

وَلَمَّا وَصَلَ « عَبْدُ ٱللهِ ٱلصَّيَّادُ » إِلَى شاطِئِ ٱلْبَحْرِ ، أَلْقَى شَبَكَتَهُ فِيهِ ، ثُمَّ أَخْرَجَها ، فَلَمْ يَرَ فِيها شَيْئًا مِنَ ٱلسَّمَكِ . فَأَلْقاها فِي ٱلْبَحْرِ - مَرَّةً ثانِيَةً ، ثُمَّ أَخْرَجَها ؛ فَلَمْ يَجِدْ فِيها سَمَكَةً مّا . ثُمَّ أَلْقاها مَرَّةً ثالِثَةً . وَصَبَرَ عَلَيْها قَلِيلًا . وَلَمَّا جَذَبَها وَجَدَها ثَقِيلَةً ؛ فَفَرِحَ بِذٰلِكَ ، وَظَنَّ أَنَّها مَمْلُوءَةٌ بِٱلسَّمَكِ . وَلٰكِنَّ فَرَحَهُ لَمْ يَطُلْ ، فَقَدْ وَجَدَها - بَعْدَ أَنْ أَخْرَجَها مِنَ ٱلْبَحْرِ - مَمْلُوءَةً بِالرَّمْلِ وَٱلْحَشائِشِ وَٱلْوَحَلِ فَرَمَى ما فِيها ، وَنَظَّفَها وَغَسَلَها ، ثُمَّ أَلْقاها مَرَّةً أُخْرَى - وَهُوَ يَرْجُو أَنْ تَصْطادَ شَيْئًا مِنَ ٱلسَّمَكِ وَصَبَرَ عَلَيْها مُدَّةً طَوِيلَةً ، وَجَذَبَها ، فَرَآها ثَقِيلَةً جِدًّا .

فَفَرِحَ بِذٰلِكَ ، وَقالَ فِي نَفْسِهِ :

« لا شَكَّ فِي أَنَّ شَبَكَتِي قَدِ ٱمْتَلأَتْ سَمَكًا فِي هٰذِهِ ٱلْمَرَّةِ . »

ثُمَّ جَذَبَها — بِكُلِّ قُوَّتِهِ — حَتَّى أَخْرَجَها بَعْدَ عَناءٍ شَدِيدٍ . فَرَأَى فِيها جَرَّةً مَمْلُوءَةً بِالطِّينِ وَٱلْحَصَى .

فَحَزِنَ « عَبْدُ ٱللهِ ٱلصَّيَّادُ » أَشَدَّ ٱلْحُزْنِ ، وَتَأَلَّمَ لِسُوءِ بَخْتِهِ . وَقالَ فِي نَفْسِهِ : « إِنَّ ٱلْفَرَجَ يَأْتِي بَعْدَ ٱلشِّدَّةِ ، وَلا بُدَّ مِنَ الصَّبْرِ . فَإِنَّ ٱللهَ — سُبْحانَهُ — لَنْ يَتْرُكَنِي وَأَوْلادِي بِلا قُوتٍ ، فِي هٰذا ٱلْيَوْمِ ٱلَّذِي لَمْ أَرَ لَهُ شَبِيهًا طُولَ عُمْرِي . »

ثُمَّ رَمَى ٱلْجَرَّةَ ، وَنَظَّفَ شَبَكَتَهُ وَغَسَلَها ، وَذَهَبَ بِها إِلَى مَكانٍ آخَرَ وَأَلْقاها فِي ٱلْبَحْرِ ، فَلَمْ تَصْطَدْ شَيْئًا .

وَما زالَ يَتَنَقَّلُ مِنْ مَكانٍ إِلَى آخَرَ ، وَيُلْقِي شَبَكَتَهُ — مِنْ غَيْرِ فائِدَةٍ — حَتَّى جاءَ وَقْتُ ٱلْمَساءِ ، وَلَمْ يَصْطَدْ سَمَكَةً واحِدَةً . فَرَجَعَ « عَبْدُ ٱللهِ ٱلصَّيَّادُ » أَدْراجَهُ إِلَى ٱلْبَيْتِ ، وَهُوَ مُتَأَلِّمٌ مَحْزُونٌ لِما لَقِيَهُ فِي ذٰلِكَ ٱلْيَوْمِ ٱلْمَنْحُوسِ .

٣ – عَبْدُ اللهِ الْخَبَّازُ

وَما زالَ « عَبْدُ اللهِ الصَّيَّادُ » سائِرًا فِي طَرِيقِهِ – وَهُوَ مُتَأَلِّمٌ مَحْزُونٌ – يُفَكِّرُ فِي أَوْلادِهِ الْعَشَرَةِ الَّذِينَ تَرَكَهُمْ فِي الْبَيْتِ مِنَ الصَّباحِ – بِلا طَعامٍ – حَتَّى وَصَلَ إِلَى دُكَّانِ خَبَّازٍ غَنِيٍّ مَعْرُوفٍ ، اسْمُهُ : «عَبْدُ اللهِ الْخَبَّازُ » فَرَأَى النَّاسَ مُزْدَحِمِينَ عَلَى دُكَّانِهِ لِشِراءِ الْخُبْزِ . وَرَأَى « عَبْدَ اللهِ الْخَبَّازَ » ، مَشْغُولًا بِالْبَيْعِ.

وكانَ « عَبْدُ اللهِ الصَّيَّادُ » جائِعًا لَمْ يَذُقْ طَعامًا فِي نَهارِهِ . فَلَمَّا رَأَى الْخُبْزَ أَمامَهُ – وَهُوَ خارِجٌ مِنَ الْفُرْنِ – اشْتَهَتْهُ نَفْسُهُ ، وَذَكَرَ أَوْلادَهُ الْعَشَرَةَ الْجائِعِينَ ، فَتَحَسَّرَ لِفَقْرِهِ وعَجْزِهِ عَنْ شِراء ما يَقْتاتُونَ بِهِ . ولٰكِنَّهُ صَبَرَ عَلَى قضاء اللهِ ، وعَلِمَ أَنَّ رِزْقَهُ لا بُدَّ آتِيه .

وكانَ « عَبْدُ اللهِ الْخَبَّازُ » صاحِبُ هٰذا الْفُرْنِ رَجُلًا مُحْسِنًا كَرِيمًا مُحِبًّا لِلْخَيْرِ . فَلَمَّا رَأَى « عَبْدَ اللهِ الصَّيَّادَ » واقِفًا أَمامَ

دُكّانِهِ ، مَحْزونًا مُتَألِّمًا ، يَنظُرُ إلى الخُبْزِ بِلَهْفَةٍ وحَسْرَةٍ ، عَرَفَ أَنَّهُ فقيرٌ مُحْتاجٌ جائعٌ ، وأَدْرَكَ أَنَّ نَفْسَهُ تَشْتَهِى الخُبْزَ ، ويَمْنَعُهُ الخَجَلُ والحَياءُ مِن السُّؤالِ . فَناداهُ بِرِفْقٍ وهُو يَبْتَسِمُ لَهُ :

« مَرْحَبًا بِكَ أَيُّها الصَّيَّادُ ، تَعالَ إلَيَّ أَيُّها الرَّفيقُ العَزيزُ ، هَلُمَّ ياصاحِبِى ، فَخُذْ ما تَحْتاجُ إلَيْهِ مِنَ الخُبْزِ . »

فَسَكَتَ « عَبْدُ اللهِ الصَّيَّادُ » ، وظَهَرَتْ عَلَيْهِ أَماراتُ الارْتِباكِ والخَجَلِ . ولَمْ يَجْرُؤْ عَلَى طَلَبِ شَىْءٍ مِنَ الخُبْزِ ، لِأَنَّهُ كانَ — عَلَى فَقْرِهِ — عَزيزَ النَّفْسِ ، ولَمْ يَتَعَوَّدِ المَسْأَلَةَ فِى حَياتِهِ قَطُّ . فَقالَ لَهُ « عَبْدُ اللهِ الخَبّازُ » ، وقَدْ أَدْرَكَ ما يَجُولُ فِى نَفْسِهِ : « لا تَخْجَلْ ياصاحِبِى ، فَلَنْ أُطالِبَكَ الآنَ بِثَمَنِ ما تَأْخُذُهُ مِنَ الخُبْزِ . »

فَتَشَجَّعَ « عَبْدُ اللهِ الصَّيَّادُ » قَليلًا ، وقالَ لَهُ : « الحَقُّ يا سَيِّدِى أَنَّنِى خَجِلٌ مِنْكَ . فَلَيْسَ مَعِى نُقُودٌ أَشْتَرِى بِها ما أَحْتاجُ إلَيْهِ مِنَ الخُبْزِ فِى هٰذا اليَوْمِ . فَإذا شِئْتَ أَعْطَيْتُكَ شَبَكَتِى ، لِتَكُونَ رَهْنًا عِنْدَكَ بِما آخُذُهُ مِنَ الخُبْزِ لِأَطْفالِى العَشَرَةِ الصِّغارِ ، الَّذِينَ

تَرَكْتُهُمْ مِنَ الصَّباحِ بِلا طَعامٍ ، حَتَّى يُيَسِّرَ لِي اللهُ ، فَأُعْطِيَكَ ثَمَنَ ما أَخَذْتُهُ مِنَ الْخُبْزِ . »

فَزادَ عَطْفُ الْخَبَّازِ وتَأَثُّرُهُ ، فَقالَ لَهُ مُتَرَفِّقًا مُبْتَسِمًا : « وَمِنْ أَيْنَ تَحْصُلُ عَلَى الْمالِ ، إِذا أَخَذْتُ مِنْكَ شَبَكَتَكَ الَّتِي تَصْطادُ بِها ؟ كَلَّا ، لا تُقْلِقْ بالَكَ يا صاحِبِي بِشَيْءٍ مِنْ ذٰلِكَ ، وَتَعالَ فَخُذْ ما تَشاءُ مِنَ الْخُبْزِ ، ثُمَّ أَحْضِرْ لِي بِثَمَنِهِ سَمَكًا — مِمَّا تَصْطادُ — مَتَى يَسَّرَ اللهُ لَكَ . »

وَلَمَّا رَأَى الْخَبَّازُ تَرَدُّدَ الصَّيَّادِ وَارْتِباكَهُ وحَياءَهُ أَعْطاهُ ما يَكْفِيهِ — هُوَ وَأَوْلادَهُ الْعَشَرَةَ — مِنَ الْخُبْزِ ، وقالَ لَهُ :

« خُذْ هٰذِهِ النُّقُودَ — يا صاحِبِي — فَاشْتَرِ بِها لِأَوْلادِكَ الْعَشَرَةِ شَيْئًا مِنَ اللَّحْمِ والْفاكِهَةِ والْحَلْواءِ . فَشَكَرَهُ « عَبْدُ اللهِ الصَّيَّادُ » عَلَى كَرَمِهِ ومُرُوءَتِهِ ، وَأَخَذَ مِنْهُ ما أَعْطاهُ لَهُ . وانْصَرَفَ وَهُوَ فَرْحانٌ ، واشْتَرَى لِأَوْلادِهِ أَطْيَبَ الْمَآكِلِ . وَعادَ إِلَى بَيْتِهِ ، وقَدْ تَبَدَّلَ يَأْسُهُ أَمَلًا وَحُزْنُهُ سُرُورًا .

٤ — أيّامُ النَّحْسِ

وفى الْيَوْمِ التَّالِى ، ذَهَبَ « عَبْدُ اللهِ الصَّيَّادُ » إلَى الْبَحْرِ . وظَلَّ يُلْقِى شَبَكَتَهُ فِيهِ ، ثُمّ يُخْرِجُها ، فَلا يَجِدُ فِيها شَيْئًا مِنَ السَّمَكِ . وَما زالَ كَذٰلِكَ حَتَّى خَيَّمَ اللَّيْلُ ، فَارْتَدَّ راجعًا إلى بَيْتِهِ . ولَمَّا اقْتَرَبَ مِنْ دُكَّانِ « عَبْدِ اللهِ الْخَبَّازِ » ، أَسْرَعَ فِى سَيْرِهِ حَتَّى لا يَراهُ . ولٰكِنَّ الْخَبَّازَ رَآهُ ، وَهُوَ يُسْرِعُ فِى خُطاهُ ، فَأَدْرَكَ أَنَّ خَجَلَهُ وَحَياءَهُ يَمْنَعانِهِ مِنْ طَلَبِ ما يَحْتاجُ إِلَيْهِ مِنَ الْخُبْزِ والْمالِ فِى تِلْكَ اللَّيْلَةِ . فَناداهُ :

« تَعالَ يا صاحِبِى الصَّيَّادَ ، فَقَدْ نَسِيتَ أَنْ تَأْخُذَ الْخُبْزَ فِى هٰذِهِ اللَّيْلَةِ . » فَعادَ إِلَيْهِ الصَّيَّادُ وهُوَ مُرْتَبِكٌ ، وقالَ لَهُ ، والْخَجَلُ ظاهِرٌ عَلَى وَجْهِهِ : « كَلّا ، لَمْ أَنْسَ شَيْئًا يا سَيِّدِى ، ولٰكِنَّ الْخَجَلَ قَدْ مَنَعَنِى مِنْ ذٰلِكَ ، لِأَنَّنِى لَمْ أَصْطَدْ شَيْئًا مِنَ السَّمَكِ فِى هٰذا الْيَوْمِ وَلِهٰذا لَمْ أُعْطِكَ ما اقْتَرَضْتُهُ مِنَ الْمالِ ، وَلا ثَمَنَ ما أَخَذْتُهُ مِنَ الْخُبْزِ .



فَقالَ لَهُ الْخَبّازُ، مُتَرَفِّقًا مُبْتَسِمًا: «لا تُقْلِقْ بالَكَ يا أَخِي، فَإِنِّي لَنْ آخُذَ مِنْكَ شَيْئًا – مِنَ الْمالِ أَوِ السَّمَكِ – إِلَّا إِذا تَبَدَّلَ عُسْرُكَ يُسْرًا، وَإِنِّي أُقْسِمُ عَلَيْكَ بِاللهِ أَلَّا تَخْجَلَ مِنْ طَلَبِ كُلِّ ما تَحْتاجُ إِلَيْهِ مِنِّي. ثُمَّ أَعْطاهُ – مِنَ الْخُبْزِ والْمالِ – مِثْلَ ما أَعْطاهُ فِي اللَّيْلَةِ السّابِقَةِ، فَأَخَذَهُ الصَّيّادُ شاكِرًا واشْتَرَى لِأَوْلادِهِ شَيْئًا مِنَ الطَّعامِ والْحَلْوَاءِ والْفاكِهَةِ. وظَلَّ الصَّيّادُ – فِي

كُلَّ يَوْمٍ – يَذْهَبُ إِلَى الْبَحْرِ وَيُلْقِي فِيهِ شَبَكَتَهُ طُولَ النَّهارِ ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَصْطادَ شَيْئًا . فَيَذْهَبُ لَيْلًا إِلَى دُكَّانِ الْخَبّازِ ، فَيَأْخُذُ مِنْهُ ما يَحْتاجُ إِلَيْهِ مِنَ الْخُبْزِ والْمالِ ، وَيَشْتَرِي لِأَوْلادِهِ ما يَحْتاجُونَ إِلَيْهِ . وَما زالَ كَذٰلِكَ مُدَّةَ أَرْبَعِينَ يَوْمًا .

٥ – بَيْنَ الصَّيّادِ وَابْنَتِهِ

فَلَمّا جاءَ الْيَوْمُ الْحادِي وَالْأَرْبَعُونَ ، جَلَسَ الصَّيّادُ يُفَكِّرُ فِيما لَقِيَهُ مِنَ الْكَسادِ . فَحَزِنَ وَتَأَلَّمَ ، ثُمَّ بَكَى مِنْ شِدَّةِ الْحُزْنِ وَالْأَلَمِ . فَسَأَلَتْهُ ابْنَتُهُ « أَمِينَةُ » وَهِيَ مَحْزُونَةٌ لِحُزْنِهِ : « مِمَّ تَبْكِي يا أَبَتِ ؟ » فَقَصَّ عَلَيْها قِصَّتَهُ كُلَّها . فَقالَتْ لَهُ : « وَهَلْ أَظْهَرَ لَكَ الْخَبّازُ شَيْئًا مِنَ النُّفُورِ أَوِ الْإِعْراضِ ؟ وَهَلْ آذاكَ بِكَلِمَةٍ واحِدَةٍ يا أَبَتِ ؟ » فَقالَ لَها الصَّيّادُ : « كَلّا يا بِنْتِيَ الْعَزِيزَةَ ، بَلْ هُوَ – عَلَى الضِّدِّ مِنْ ذٰلِكَ – يَهَشُّ لِي كُلَّما رَآنِي ، وَيَبْتَسِمُ مُتَرَفِّقًا عَلَيَّ . وَلٰكِنَّنِي خَجِلٌ جِدًّا لِأَنَّنِي لَمْ أُعْطِهِ شَيْئًا مِمّا اقْتَرَضْتُهُ مِنْهُ .



وقَدْ مَرّ بِي أرْبَعُونَ يومًا لَمْ أَصْطَدْ فِيها سَمَكَةً واحِدَةً أُهْدِيها إلى هٰذا الْخَبّازِ الْمُحْسِنِ الَّذى غَمَرَنِى بِكَرَمِهِ . ولَقَدْ هَمَمْتُ مِرارًا بِتَقْطِيعِ شَبَكَتى ورَمْيِها حَتّى لا أُتْعِبَ نَفْسِى بِها كُلّ يَوْمٍ عَلَى غَيْرِ جَدْوَى . » فقَالَتْ لَهُ : « عَلَى الْإِنسانِ أَنْ يَسْعَى ، وَلَيْسَ عَلَيْهِ إِدْراكُ النَّجاحِ ، وَلا بُدَّ مِنَ الصَّبْرِ عَلَى قَضاءِ اللهِ . وَيَجِبُ عَلَيْكَ — يا أَبَتِ — أَنْ تَحْمَدَ اللهَ عَلَى لُطْفِهِ بِكَ ، فَقَدْ عطفَ عَلَيْكَ قَلْبَ

هٰذا الْخَبّازِ الْمُحْسِنِ فِي أَيّامِ الضِّيقِ . وَلا بُدَّ أَنْ يَأْتِيَ الْيُسْرُ بَعْدَ الْعُسْرِ ، والْفَرَجُ بَعْدَ الضِّيقِ .

وَمَنْ يَدْرِي ؟ فَلَعَلَّ هٰـذا الْيَوْمَ يَكُونُ خاتِمَةَ أَيّامِ النَّحْسِ ، وَفاتِحَةَ أَيّامِ الْيُسْرِ والْفَرَجِ . »

٦ — جُثَّةُ الْحِمارِ

فخَرَجَ « عَبْدُ اللهِ الصَّيّادُ » مِنْ بَيْتِهِ ، وَهُوَ مُسْتَبْشِرٌ بِما قالَتْهُ ابْنَتُهُ لَهُ . وَلمّا وصَلَ إلى الْبَحْرِ ، أَلْقَى شَبَكَتَهُ فِيهِ ، وصَبَرَ عَلَيْها قَلِيلًا ، ثُمَّ جَذَبَها ، فوَجَدَها ثَقِيلَةً جِدًّا . فقَالَ فِي نَفْسِهِ : « لا شَكَّ أَنَّ أَيّامَ النَّحْسِ قَدِ انْقَضَتْ ، وَجاءَ وَقْتُ الْفَرَجِ . » ثُمَّ جَذَبَ الشَّبَكَةَ بِقُوَّةٍ حَتّى أَخْرَجَها — بَعْدَ تَعَبٍ شَدِيدٍ — فَوَجَدَ جُثَّةَ حِمارٍ مَيِّتٍ . فانْقَلَبَ فَرَحُهُ وَسُرُورُهُ حُزْنًا وَغَمًّا ، وَقالَ فِي نَفْسِهِ :

« لَقَدْ كُتِبَ عَلَيَّ الشَّقاءُ وَالنَّحْسُ . وَما أَحْسَبُنِي أَصْطادُ شَيْئًا بَعْدَ الْيَوْمِ . وَلَقَدْ كُنْتُ أَحْسَبُ أَنَّهُ آخِرُ أَيّامِ الْبُؤْسِ وَأَوَّلُ أَيّامِ الْفَرَجِ ،

فإذا بِهِ أَشَدُّ الأَيّامِ نَحْسًا . فَإِنَّنِي لَمْ أَصْطَدْ – فِي حَياتِي كُلِّها مِثْلَ هٰذا الْحِمارِ الْمَيِّتِ ، الَّذِي كادَتْ تُهْلِكُنِي رائِحَتُهُ الكَرِيهَةُ . »

وَهَمَّ بِتَقْطِيعِ شَبَكَتِهِ وَرَمْيِها ، والرُّجُوعِ إلى بَيْتِهِ يائِسًا مِنْ كُلِّ خَيْرٍ . وَلٰكِنَّهُ ذَكَرَ نَصِيحَةَ ابْنَتِهِ ، وَعَلِمَ أَنَّ الشِّتاءَ – إذا اشْتَدَّ بَرْدُهُ القارِسُ – جاءَ بَعْدَهُ الرَّبِيعُ الْبَهِيجُ ، وَأَنَّ الصَّيْفَ – إذا اشْتَدَّ حَرُّهُ اللّافِحُ – جاءَ بَعْدَهُ الْخَرِيفُ الجَمِيلُ ، وَأَنَّ الْبُؤْسَ – إذا اشْتَدَّ ضِيقُهُ وَاسْتَحْكَمَ – أَعْقَبَهُ الْفَرَجُ . فَصَبَرَ عَلَى قَضاءِ اللهِ ، وَأَخْرَجَ مِنْ شَبَكَتِهِ جُثَّةَ الْحِمارِ الْمَيِّتِ وَرَماها . ثُمَّ نَظَّفَ الشَّبَكَةَ وَذَهَبَ بِها إلى مَكانٍ آخَرَ مِنَ الْبَحْرِ يَتَلَمَّسُ رِزْقَهُ فِيهِ .

٧ – عَبْدُ اللهِ الْبَحْرِيُّ

ثُمَّ أَلْقَى الصَّيّادُ شَبَكَتَهُ فِي الْبَحْرِ ، بَعْدَ أَنْ دَعا اللهَ أَنْ يُيَسِّرَ لَهُ . وَصَبَرَ عَلَيْها مُدَّةً طَوِيلَةً ، ثُمَّ جَذَبَها فَرَآها ثَقِيلَةً جِدًّا . فَظَلَّ يَجْذِبُها بِكُلِّ قُوَّتِهِ ، حَتَّى أَخْرَجَها . فَوَجَدَ فِيها رَجُلًا عَجِيبَ

الْخِلْقَةِ ، غَرِيبَ الشَّكْلِ ، جِسْمُهُ جِسْمُ إِنْسانٍ ، وَلَهُ ذَيْلٌ طَوِيلٌ كَذَيْلِ السَّمَكِ . فَخافَ الصَّيَّادُ عَلَى نَفْسِهِ ، وَظَنَّهُ عِفْرِيتًا مِنَ الْجِنِّ ، فَصَرَخَ مِنْ شِدَّةِ الْفَزَعِ وَالرُّعْبِ ، وَأَرادَ أَنْ يَهْرُبَ مِنْهُ . وَلٰكِنَّ ذٰلِكَ الرَّجُلَ ناداهُ مُتَلَطِّفًا ، وَقالَ لَهُ بِكَلامٍ عَرَبِيٍّ فَصِيحٍ :

« لا تَخَفْ عَلَى نَفْسِكَ مِنِّي يا صاحِبِي ، فَأَنا إِنْسانٌ مِثْلُكَ ، وَلَسْتُ عِفْرِيتًا كَما تَظُنُّ . وَأَنا أَعْبُدُ اللهَ كَما تَعْبُدُهُ . وَإِنَّما أَنْتَ إِنْسانٌ بَرِّيٌّ : تَعِيشُ فِي الْبَرِّ ؛ وَأَنا إِنْسانٌ بَحْرِيٌّ : أَعِيشُ فِي الْبَحْرِ . »

فَاطْمَأَنَّ الصَّيَّادُ حِينَ سَمِعَ كَلامَهُ ، وَزالَ عَنْهُ الْخَوْفُ .

٨ — الْفَرَجُ بَعْدَ الضِّيقِ

ثُمَّ سَأَلَهُ « عَبْدُ اللهِ الصَّيَّادُ » عَنِ اسْمِهِ ، فَقالَ لَهُ : « اسْمِي عبدُ اللهِ الْبَحْرِيُّ . فَما اسْمُكَ أَنْتَ ؟ » فقالَ لَهُ : « اسْمِي عَبْدُ اللهِ الصَّيَّادُ . » فَقالَ لَهُ : « أَنْتَ تَعِيشُ فِي الْبَرِّ ، فَأَنا أُسَمِّيكَ مِنَ الْيَوْمِ : « عَبْدَ اللهِ الْبَرِّيَّ » . وَسَنَكُونُ صَدِيقَيْنِ — مِنْ هٰذا الْيَوْمِ —

ونَحْلِفُ عَلَى الْوَفاءِ جَميعًا ، ونَلْتَقِي فِي صَباحِ كُلِّ يَوْمٍ . فَتُحْضِرُ لِي أَنْتَ ما تَخْتارُهُ مِنْ فَواكِهِ البَرِّ ، وأُعْطيكَ ما تُحِبُّهُ مِنْ كُنُوزِ الْبَحْرِ . »

فَفَرِحَ « عَبْدُ اللهِ الْبَرِّيُّ » بِذٰلِكَ ، وأَعادَهُ إلى الْبَحْرِ . فَغابَ عَنْهُ مُدَّةً قَليلَةً ولَمْ يَعُدْ . فَقالَ فِي نَفْسِهِ : « لَقَدْ خَدَعَنِي هٰذا الرَّجُلُ . ولَوْ أَخَذْتُهُ مَعِي وعَرَضْتُهُ فِي السُّوقِ ، لَعَجِبَ النَّاسُ مِنْ هَيْئَتِهِ الْغَريبَةِ . فَجَمَعْتُ مِنْهُمْ مالًا كَثيرًا . وبَيْنا هُوَ يَتَأَسَّفُ عَلَى ضَياعِ هٰذِهِ الْفُرْصَةِ النَّادِرَةِ ، إِذْ خَرَجَ إِلَيْهِ « عَبْدُ اللهِ الْبَحْرِيُّ » وَيَداهُ مَمْلُوءَتانِ بِالْياقُوتِ والزُّمُرُّدِ والْمَرْجانِ . فَفَرِحَ بِذٰلِكَ فَرَحًا شَديدًا ، وَعَرَفَ صِدْقَهُ فِيما قالَ . ثُمَّ وَدَّعَهُ ، بَعْدَ أَنْ وَعَدَهُ بِإِحْضارِ سَلَّةٍ مَمْلُوءَةٍ بِالْفاكِهَةِ فِي الْيَوْمِ التَّالِي . فَقالَ لَهُ « عَبْدُ اللهِ الْبَحْرِيُّ » : « إذا لَمْ تَجِدْنِي ، فَنادِنِي بِاسْمِي ، لِأَخْرُجَ إِلَيْكَ تَوًّا . »

وَانْصَرَفَ « عَبْدُ اللهِ الْبَرِّيُّ » وَهُوَ فَرْحانُ بِما نالَ مِنْ ثَرْوَةٍ عَظِيمَةٍ لَمْ يَكُنْ يَحْلُمُ بِها طُولَ عُمْرِهِ .



٩ — وَفاءُ الدَّيْنِ

وَلَمْ يَنْسَ فَضْلَ صَدِيقِهِ الْخَبَّازِ عَلَيْهِ ، فَأَسْرَعَ إِلَى دُكَّانِهِ ،

وَناداهُ . وَقَسَمَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْخَبّازِ ما مَعَهُ مِنَ اللآلِئِ بِالسَّوِيَّةِ .



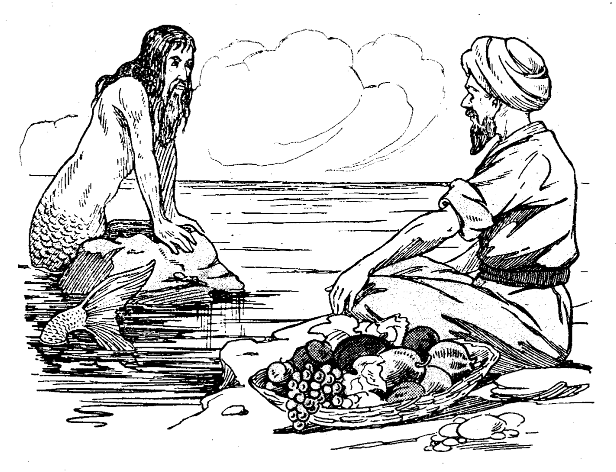
فَفَرِحَ الْخَبّازُ بِهٰذِهِ الثَّرْوَةِ الْعَظِيمَةِ أَشَدَّ الْفَرَحِ ، وَشَكَرَهُ عَلى وَفائِهِ ، وَحَمَلَ إِلى بَيْتِهِ كُلَّ ما في دُكّانِهِ مِنَ الْخُبْزِ ، وَأَعْطاهُ كُلَّ ما عِنْدَهُ مِنَ النُّقُودِ . وذَهَبَ « عَبْدُ اللهِ الْبَرِّيُّ » إِلى السُّوقِ فَاشْتَرَى مِنْ أَطايِبِ الْمَآكِلِ وَالْفاكِهَةِ وَالْحَلْواءِ شَيْئًا كَثِيرًا جِدًّا ، وَعادَ إِلى أَوْلادِهِ وَهُوَ مُبْتَهِجٌ .

وَفَرِحَتْ « أَمِينَةُ » وَإِخْوَتُها بِما نالَهُ أَبُوهُمْ مِنْ خَيْرٍ وَنِعْمَةٍ .

١٠ بَيْنَ يَدَيِ الْمَلِكِ

وَذَهَبَ « عَبْدُ اللهِ الْبَرِّيُّ » صَباحَ الْيَوْمِ التّالِي إِلى صَدِيقِهِ

« عَبْدِ اللهِ الْبَحْرِيِّ » وعَلى رَأْسِهِ مِشَنَّةٌ مَمْلُوءَةٌ بِأَطْيَبِ الْفاكِهَةِ ولَمَّا وصَلَ إِلى الْبَحْرِ نادَى : « يا عَبْدَ اللهِ الْبَحْرِيَّ » .



فَخَرَجَ إِلَيْهِ ، وسَلَّمَ عَلَيْهِ ، وأَخَذَ مِنْهُ ما أَحْضَرَهُ مِنَ الْفاكِهَةِ . وَمَلأَ لَهُ السَّلَّةَ مِنْ كُنُوزِ الْبَحْرِ وَنَفائِسِه ، فَذَهَبَ بِها إِلى الْبَيْتِ ، وأَخَذَ مِنْها بَعْضَ اللآلِئِ لِيَبِيعَها فِي السُّوقِ . فَلَمَّا رَأَى الْجَوْهَرِيُّ

ما مَعهُ ، ظَنّ أَنَّهُ سارِقٌ ، فَنادَى رِجالَ الشُّرْطَةِ لِيَقْبِضُوا عَلَيْهِ . وذَهَبُوا بِهِ إلى الْمَلِكِ ، بَعْدَ أنْ أَهانُوهُ وضَرَبُوهُ . فَسأَلَهُ الْمَلِكُ مُتَعَجِّبًا : « مِنْ أَيْنَ أَحْضَرْتَ هٰذِه النَّفائِسَ ؟ فَقَصَّ عَلَيْهِ قِصَّتَهُ كُلَّها . فَأَسَّاهُ الْمَلِكُ ، ووَبَّخَ الْجَوْهَرِيَّ ورِجالَ الشُّرْطَةِ ، وعاقَبَهُمْ عَلَى فِعْلِهِمْ . ورَأَى ما أَعْجَبَهُ مِنْ حُسْنِ أَدَبِهِ ووَفْرَةِ عَقْلِهِ ، فقَالَ لَهُ :

« إنَّ الْمالَ — يا وَلَدِى — يَحْتاجُ إلى الْجاهِ لِيَحْمِيَهُ مِنْ أَذَى السُّفَهاءِ والْأَشْرارِ . وسَأُزَوِّجُكَ ابْنَتِي ، وأَجْعَلُكَ وَزِيرِى ، فَلا يَجْرُؤُ أَحَدٌ على إيذائِكَ ، بَعْدَ الْيَوْمِ . »

١١ — وَفاءُ الصَّدِيقَيْنِ

وأَصْبَحَ « عَبْدُ اللهِ الْبَرِّيُّ » مِنْ ذٰلِكَ الْيَوْمِ وَزِيرَ الْمَلِكِ وَصِهْرَهُ ، ونَقَلَ أَوْلادَهُ إلى الْقَصْرِ مُعَزَّزِينَ مُكَرَّمِينَ .

وَلٰكِنَّهُ لَمْ يَنْسَ صَدِيقَهُ « عَبْدَ اللهِ الْخَبّازَ » ، الَّذِى آساهُ فِي أَيّامِ مِحْنَتِهِ . فَذَهَبَ إلى مَخْبَزِهِ ، فَرَآهُ مُغْلَقًا . فَسَأَلَ النّاسَ

عَنْ بَيْتِهِ حَتَّى اهْتَدَى إِلَيْهِ ، وعَلِمَ أَنَّهُ مَرِيضٌ فَنَادَاهُ . فَلَمَّا سَمِعَ الْخَبَّازُ نِدَاءَهُ أَسْرَعَ إِلَيْهِ وَعَانَقَهُ ، وهُوَ فَرْحَانٌ بِقُدُومِهِ . فَسَأَلَهُ : « لِماذا أَغْلَقْتَ دُكَّانَكَ ؟ » فَقالَ لَهُ :

« عَلِمْتُ ما لَحِقَ بِكَ مِنَ الْإِهانَةِ ؛ فَتَأَلَّمْتُ لِذٰلِكَ أَشَدَّ الْأَلَمِ ، ومَرِضْتُ بِسَبَبِ حُزْنِي عَلَيْكَ . » فَشَكَرَهُ عَلى وَفائِهِ ، وقَصَّ عَلَيْهِ ما حَدَثَ لَهُ ، وزَوَّجَهُ بِابْنَتِهِ « أَمِينَةَ » ، وقَدَّمَهُ إِلى الْمَلِكِ ، وذَكَرَ لَهُ وَفاءَهُ وفَضْلَهُ عَلَيْهِ .

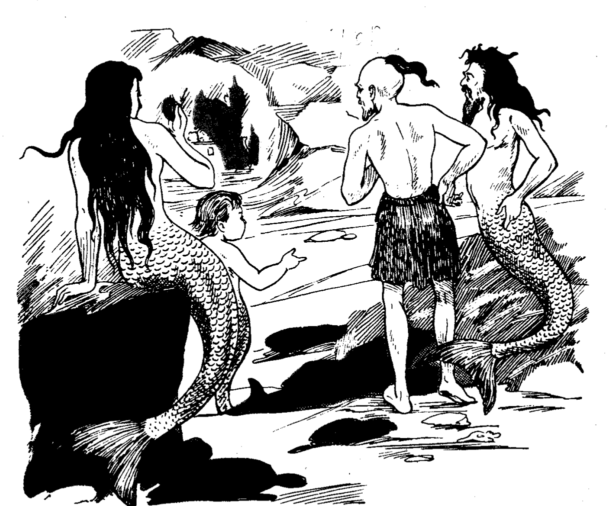
فَأُعْجِبَ الْمَلِكُ بِوَفائِهِما إِعْجابًا شَدِيدًا ، وجَعَلَ « عَبْدَ اللهِ الْخَبَّازَ » وَزِيرًا مَعَ صِهْرِهِ « عَبْدِ اللهِ الْبَرِّيِّ » .

١٢ – عَجائِبُ الْبَحْرِ

وكانَ « عَبْدُ اللهِ الْبَرِّيُّ » يَذْهَبُ – كُلَّ صَباحٍ – إِلى صَدِيقِهِ « الْبَحْرِيِّ » بِسَلَّةٍ مَمْلُوءَةٍ بِالْفاكِهَةِ ، ويَعُودُ بِها مَمْلُوءَةً بِالْأَحْجارِ الْكَرِيمَةِ . وَفِي ذاتِ يَوْمٍ جَلَسا يَتَحَدَّثانِ ، فَدَعا الْبَحْرِيُّ صَدِيقَهُ



الْبَرِّىَّ لِيُرِيَهُ عَجائِبَ الْبَحْرِ . فَخَلَعَ مَلابِسَهُ ، ودَهَنَ جِسْمَهُ بِمَرْهَمٍ عَجِيبٍ أَحْضَرَهُ لَهُ ، حَتَّى لا يُؤْذِيَهُ الْماءُ . ثُمَّ نَزَلَ مَعَهُ فِى قَرارِ الْبَحْرِ . ورَأَى ما يَحْوِيهِ الْبَحْرُ مِنْ كُنُوزٍ ، ومِنْ سَمَكٍ مُخْتَلِفِ الأَنْواعِ والْأَلْوانِ ، مِنْهُ ما يُشْبِهُ – فِى خِلْقَتِهِ – الْجامُوسَ والْبَقَرَ ، ومِنْهُ ما يُشْبِهُ الْكِلابَ ، ومِنْهُ ما يَسْتَطِيعُ أَنْ يَبْتَلِعَ الْجَمَلَ



أَوِ الْفِيلَ ، ولٰكِنَّهُ يَنفُرُ مِنَ الْإِنْسانِ ؛ ويَهْرُبُ مِنْهُ إذا رَآهُ . وكانَ يرَى — كُلَّ يوْمٍ — عَجائِبَ وغَرائِبَ لا تُوصَفُ .

١٣ — كِذْبَةُ « الْبَرِّيِّ »

وكانَ يأْكُلُ — كَما يأْكُلُ صَدِيقُهُ « عَبْدُاللهِ الْبَحْرِيُّ » — سَمَكًا، نَيِّئًا، فَسَئِمَتْ نَفْسُهُ ذٰلِكَ الطَّعامَ، وأَرادَ الرُّجُوعَ إلى الْبَرِّ . فَذَهَبَ بِصَدِيقِهِ

إِلَى بَيْتِهِ — وهُوَ كَهْفٌ فِى قَرارِ الْبَحْرِ — وأَراهُ أَوْلادَهُ وهُمْ يُشْبِهُونَهُ فِى الخِلْقَةِ.

فعَجِبَ مِنْ أَذْنابِهِمْ ، وعَجِبُوا مِنْهُ إِذْ رَأَوْهُ بِلا ذَنَبٍ. وسَأَلُوا أَباهُمْ : « مَنْ هٰذا الأَبْتَرُ؟ » فقالَ لَهُمْ : « إِنَّ سُكَّانَ الْبَرِّ لَيْسَ لَهُمْ أَذْنابٌ . » فَعَجِبُوا مِنْ ذٰلِكَ . وبَيْنَا هُمْ جالِسُونَ ، إِذْ جاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ أَحَدِ جِيرانِ « عَبْدِ اللهِ الْبَحْرِىِّ » ، يَعْرِضُ عَلَى ضَيْفِهِ أَنْ يَزُورَهُ فِى بَيْتِهِ . فقالَ الْبَرِّىُّ لِلْبَحْرِىِّ : « لَقَدْ سَئِمَتْ نَفْسِىَ الْبَقاءَ فِى الْبَحْرِ ، وَلا أُرِيدُ الذَّهابَ إِلى جارِكَ ، فَقُلْ لِرَسُولِهِ : إِنَّنِى قَدْ عُدْتُ إِلَى الْبَرِّ أَمْسِ . » فَصاحَ « عَبْدُ اللهِ الْبَحْرِىُّ » غاضِبًا :

« أَنْتَ تَكْذِبُ ، وتريد مِنِّى أَنْ أَكْذِبَ ؟ إِنَّ الرَّجُلَ الَّذِى يَكْذِبُ لا وَفاءَ لَهُ ، ولَنْ أُصاحِبَكَ بَعْدَ الْيَوْمِ . »

وَصاحَ أَوْلادُهُ : « هٰذا عَجِيبٌ ! هٰذا رَجُلٌ يَكْذِبُ ، وَما سَمِعْنا طُولَ عُمْرِنا أَنَّ رَجُلًا يَكْذِبُ . »

فَخَجِلَ « عَبْدُ اللهِ الْبَرِّيُّ » أَشَدَّ الْخَجَلِ ، وَعادَ بِهِ « عَبْدُ اللهِ الْبَحْرِيُّ » إلى الْبَرِّ ، ولَمْ يَخْرُجْ إلَيْهِ بَعْدَ ذٰلِكَ الْيَوْمِ .

١٤ – خاتِمَةُ الْقِصَّةِ

عادَ « عَبْدُ اللهِ الْبَرِّيُّ » إلى بَيْتِهِ ، فَسَأَلَهُ الْمَلِكُ عَنْ سَبَبِ غَيْبَتِهِ ، فَقَصَّ عَلَيْهِ كُلَّ ما حَدَثَ ، فَعَجِبَ مِنْ قَوْلِهِ أَشَدَّ الْعَجَبِ .

ثُمَّ عاشَ « عَبْدُ اللهِ الْبَرِّيُّ » مَعَ زَوْجِهِ وأَوْلادِهِ مَسْرُورِينَ ، ولٰكِنَّهُ لَمْ يَنْسَ كِذْبَتَهُ .

وكانَ يَخْجَلُ كُلَّما ذَكَرَها أَشَدَّ الْخَجَلِ .

مكتبة الكيلانى للأطفال

. . . . وتَمْتازُ تَواليفُ الْكيلانى بالبَساطةِ فى التعبيرِ ، والصِّحةِ فى الألفاظِ ، والرِّقةِ فى التركيب . والدِّقَّةِ فى الأَداء ، والسَّلاسة والسُّهولة ، مع اجتنابِ كُلِّ غريبٍ ونابٍ ، ومع تَوَخِّى التدرُّج بالطِّفل . هٰذا إلى الشَّكلِ الكاملِ — حتَّى يُؤَمَّنَ الخطأَ — والاكثارِ من الصُّوَرِ الجميلةِ المُغريةِ بالقِراءة . . . .

ابراهيم عبد القادر المازنى

. . . وإنِّى لأرْجُو أَنْ يأْتِيَ الْيَوْمُ الذى تَصِيرُ فِيهِ اللُّغَةُ الْعَرَبِيَّةُ سَلِيقَةً عِنْدَ مُتَعَلِّمِينا . فَإِذا قُيِّضَ لَها ذٰلِكَ ؛ كانَ الْفَضْلُ راجِعًا — فِي مُعْظَمِهِ — إِلَى كُتُبِ الْأُسْتاذِ الْكيلانِى . . .

على مصطفى مشرفة

رقم الإيداع	١٩٩٨ / ١٩٨٧
الترقيم الدولى	٩٧٧-٠٢-١٩٥٣-٣ ISBN

١ / ٨٦ / ٢٥٤

طبع بمطابع دار المعارف (ج.م.ع.)